نُقْطَةٌ عَلى
سَطْرِ الأَشْواقْ
فِداء محمد الكومي

نُـقـطـــةٌ عـــلـى ســـطـر الأشـواق

فِداء محمد الكومي

٨/٩/١٤٤٥

إهداء

أهديك أيها القارئ ..
حين إخترت النقطة بدلاً من الفاصلة ،
واخترت الأشواق بدلاً عن الأحزان،
وإخترت الختام لا المقدمات.

مُقدمة

في كتابٍ إسمه "الحياة" ،
كانت الحياة حُبلى بما أثكل كاهلها ،
فوضعت أحمالها في عباراتٍ خطها بشر،
والتي حين قرأناها ، إخترقت صدورنا،
فبات و مات كل فرد في صفحة وفصل مختلف،
وغفى على عنوان الفصل الأخيرة كثيرون ،
وكان العنوان:
"بابُ ما جاء في الأشواق".

مهدُ الآوابِد

أن يستلذ المرء وحدته ،
فيمشي في جنبات قصر روحه الخاوي
يردد"انا معك انا معك".فيتردد صداها في الأرجاء
يواسي علل نفسه ،وهذيان عقله
لنقل أنه استلذ العيش بمفردة
فهو لا يزعج رأسه بمحبوبة
ولا يعذب قلبه بغائب
ولا يذيب الإشتياق فؤاده
ولا يصهر الحنين هواه
هو لم يحمل هم من أحب
حين نام وشرب وقعد وتعب
هو لا يهتم لا يكترث ولا يتوجع
جميل ، أن يستلذ المرء وحدته
يعود إليها كأنها والدته ، بعد حرب أنهكته
حين تقول له : لقد أخبرتك وانت لم تسمع كلامي،
يعود أدراجه ، منهك من الطريق ، متعب التفكير
هائم على وجهه، منكب على حزنه ،
فتؤيه وحدته إليها ، وتلملم ماتبعثر منه ، وتداوي جراحه،
صامت دائمًا، ليس عجزًا منه عن الحديث ،
لكنه بات مكتفيًا بعزلته وقلبه وروحه وعقله وحدهم
وإن كبروا هرمُوا، لازال صامدًا مكتفيًا بهم .

"جميلتي فداء
القاريء في سياحة دائمًا
جوّاب للحاضر والماضي
لا تحدّة حدود ولا يمنعه من التحليق سور ..
تفردك بسعتك
لا تنطفي"
"

الأديبة ..

أغبطك على جمال كلمكِ الذي يرفق بقلبي ويحتضنه ،
كل حرف لامسني كثيرًا
لا تحدنا الأسوار ولكن يؤذى المحلق أحيانًا ،
فيأخذ الأذية درسًا يتعلمه،
والعقبة جبلاً يصعد عليه ليرى العالم من الأعلى ،

بإذن الله لن أنطفئ
قد تبهت أرواحنا أيتها الأديبة ،
نصاب أحيانًا بأسهم خوّانة ،
لكننا نعاود البريق من جديد
أليس في كل نقمة نعمة ؟
وكل بلاءٍ حكمة..

هو حال الأنسان هكذا غاليتي
تقلبه الدائم بين حال وآخر
ولولا الأضداد بالحياة
لما كانت ذات معنى
لا عليك
لن نستمتع بالفسحة حتى نعرف الضيق
ولن ننتبه للنور حتى نسير في ظلام لو لوهلة
لابأس عليك
أنتِ في رحلة النضج التي ستفاخرين بها في قابل أيامك الجميلة

الأديبة ..

: نؤذى في من نحب ،نُستنزف ، و نرهق أرواحنا و نُعاقَب من ذواتنا ، في خضم معاناتنا كم كنا لجوجين حينما تعسَّر الحال ، كم يأسنا و إنطفأ فتيل مشاعرنا و إحساسنا لنصل إلى أقصى مراحل التبلد التام ، ثمَّ ماذا نستسلم؟ بهذه السهولة نستسلم؟ نعم إنطفأنا ،نعم إحترقنا ، نعم تمزَّقنا ، و نعم كذلك خُذلنا من أنفسنا لكننا لا نستسلم مازالت أرواحنا تنبض و مازال هناك بعض الضوء الباهت يمكن رؤيته و إن بهتت أرواحنا و يوجد هناك في اعماقنا همس مرتجف يدعونا إلى المقاومة و إن تألَّمنا كلهم بمثابة بريق أملٍ لنا لنستمر، كُلهم واصلو معنا حتى الرمق الأخير فقط لأنهم وهبونا ثقتهم ، هيهات فبعض المصائب أصعب من أن تُحكى ، هيهات فبعض الآلام أقسى من أن تُكتبَ بالورقةِ و القلم، هيهات فبعض الأوجاع لا تُضمَّد مهما كانت الضمادات كثيرةً وقوية ، لا أقصد التحطيم بكلامي هذا و لكن عن أيِّ دواءٍ نتحدث و لا زال هناك آلام أرهقتنا و ما لنا منها من خلاص بل ستظل تلاحقنا مدى العمر و سنظلُّ نتوجع في كلِّ مرةٍ نذكرها و كأنها المرة الأولى!

جُلنار

لنَقل أننا أوذينا في من نُحب ،:
إستمتنا دِفَعًا عن أعينهم ،
ضَحكَتِهم ،
وربما فقط رؤيتهم ..
نحن في خضم العِراك ،
من جُبٍ إلى جُبٍ آخر ،
ومن لُجٍ إلى لُجٍ جديد،
لكننا لازلنا نخوض غمار الحياة الحياة وأزقتها مندفعين ،
أحيانًا يائسين ،
فنتعلم الدرس والدرسين ، ونُلقن الحرف والحرفين ،
ونُصاغ كما قُدِّر لنا ، ليس كما قَدرنَا لنا ، نحنُ عظيمون بقدر ما بكينا ،
بقدر ما تأوهنا ، بقدر ما كانت تئنُ القلوب خلف الصدور ،
لفحات البكاء الشجي ،
نحنُ أقوياء بقدر ماشُجت رؤسنا، وكُسرَت رِقابُنا ، ونُحِرت أرواحنا ،
مرَارًا قد نموت، لأجل من نحب ، مِرَارًا سنحيا، لروح من أحببنا ،
نعفو ،
نصفح ،
نغفر ،
نصفو ،
نصبو،
نسهر ،
لهم ثم لأنفسنا.

الفِداء

:تلكَ الجروحُ والندوب .. التي أُصبنا بها جرّاءَ أرواحِنا وقُلوبنا التي أحبت وعَشِقت وهامت ..

فقد نفتدي بحيواتنا لمن نُحب ،

قد يتسارعُ نبضُ القلبِ وترتعشُ أطرافُ البدنِ لرؤيةِ مالك الفؤاد

ينسابُ كرحيقِ وردٍ و يتخللُ الى القلبِ فيُصبحَ جزءًا منه ، فيَكونُ كـ الدواءِ حينَ يسعدُ وكما الداءُ حين يحزن ،

فعِندما يقولُ كلمةً .. قد تذبلُ قلوبنا بسببها ، وقدْ لا يقولُ كلمةً تحرّى القلبُ والفؤادُ صداها .. فتُزهقُ الروح لطولِ انتظارها .. ويأسِها .

تهوُّرُ القلبِ .. قد يقتلُ صاحبه .

أوهذا الحُب ؟ أوهكذا تعلمنا ؟

تعلمنا أن نؤذي ارواحنا ؟

رحمةً بنفسكَ يامن تملكهُ الهوى فهذا ليس بطريق !

كُلُّ شيءٍ لهُ حدٌّ فلا تحذو حذو الهلاك .. !

الحلوُ الذي تشتهيهِ لا تكتملُ حلاوُته إلا بالمُرِ الذي تعيشُه ،

ففي كُلِ الأمورِ يوجدُ المُ يُميزهُ .. وقد تجدُّ سُمًّا يقضي عليكَ فحاذر .

أنتَ يا من كُنتَ تَظنُّ الحُبَ مُشرقًا هوِّن عليك ..

فكُلُّ يسيرٍ في طريقهِ يسعى إليك ..

تلكَ الجهودُ التي بذلتها لم تذهب سُدًى فهوِّن عليك ..

وصبرُكَ ذاكَ أجرهُ باقٍ لديك فهوِّن عليك ..

خِتامُها مسكٌ بإذنِ الرحمن .. فأرحِ الفؤادَ وهوِّن عليك.

ميسان اللمى

النجاة كانت من الحذر كثيرةً جدًا ،
لكنني أيست الحذر ؛ وذاك لأنه حرم عقلي لذة الجهد الفكري وقلبي لذة الجمال ، وإن كان بعض الحذر منفعه
فذاك لايعني أن جُلهُ منفعه!
بعض الحذر مضرةٌ أيضًا ،
أما الإندفاع فهو كحال الحذر ،
إن لم يكن جُله ضرر فليس منفيًا من النفع ،
الحقيقة أن الأضداد تُظهر أهمية بعضها ،
فالحذر إن ضُبط وكان وسطًا
فلن يكون حذرًا ولن يخلص من إندفاعيته ،
وكل أمرٍ حسبما يرتئ الفتى ،
فلا أضرني إندفاعي بقدر مَا أوجعني حذري ،
وبقدرمَا أوجعت حذرًا فقد تألمت إندفاعًا،
حتى علمت أن الحياة ،
يومٌ حذر ويومٌ إندفاع!

نسمع عن أرقِ ماقيل في الغزل ،
وأرقُ ماقيل في العتاب وأرقُ ماقيل في الحب ،
هل سمعنا يومًا عن أرق ماقيل في حال الإنسان ؟ ،
لا يخفى على مغترب ذاق مرارة الترحال
كم هي الدنيا قاسية ، وشدةٌ يتلوها فرج
وفرح يتلوه حزن ، وشقاءٌ تتلوه سعادة ،
أي أن لاشيء دائم ،
ولا يغترب المرءُ فقط برحيله عن وطنه ،
قد يشعر بِمُرّ الإغتراب ومرارة الترحال وهو لم يرتحل ،
في مكانه في منزله ، كان يشعر بأن الحياة تؤيه ،
لكن تجلت له محكات الحقيقة ، وتبين له بعد طول رُقاد
أن لا دُنيا تدوم لأحد ولا أحد يدوم للدنيا ،
لا تؤي أحدًا إليها ، ولا تُسكن من تُسكن في أحضانها ،
أن تولد من رحم والدتك يعني أنك قد فُطمت من الحياة ،
وفُطمت من اللعب ، وإنتهت رحلة الحب التي عشتها ، حتى وأنت في المهد ،
لا تؤيك إلا والدتك ، وإن رحلت عنك إمَ هي إو والدك ،
فتعلم أنت مالحمل الذي تجره على عاتقك ، مذ ولدتْ ،
أنت اليوم هانئ وغدًا مُبتلى ، واليوم مبتلىً وغدًا في شقاء ،
ثم بعدها أنت في هناء ،
فما خُلقنا للدُنيا وما خُلقت الدُنيا لنا !

الإستبدال ، أقسى الجرائم التي نرتكبها في حق اي كائن على هذه الإرض،
تحزن القطط عندما يبدأ أصحابها بإقتناء أخرى والإعتناء بها ،
يتكون بلا إدارك منها مشاعر غضب
تجتاح ذلك الحيوان المسكين ،
فيبدأ بالإضراب عن الطعام ،
وإفتعال المشكلات .. لكنه الإستبدل ،
ذاك بين الحيوانات فكيف بالبشر؟
لا أستغرب جرائم القتل أبدًا ،
ولا أستعيض عنها بجزء ممَ قال البشر،
حينما يسيطر القلب على العقل ، فيحرقه بحرارة مشاعره
ويقطعه عنه الكهرباء والماء و ويسقيه مر المشاعر المنصهر،
فيفقد المرء عقله ، ويبغيب عنه ، لفرط مايشعر به ،
فقد يقتُل لأنه شعر ليس بالغيره وإنما بالحقد ،
كأنك إحتللت أرضه ولكن في قلب من يحب ،
نحن عند من نحب نعود لأوطاننا ،
قلوبهم أرضنا ، حديثهم هواؤها ، وبسماتهم تضاريسها ،
ولطفهم غيثها ، وضحكاتهم تربتها ، تخيل أن تحتل أرضك
يُحتل وطنك ، ألن تشُن الحرب ؟ ألن تُدافع؟
الفرق أنك تحارب بكلك ، بروحك وقلبك وفكرك ،
روحك المعلقة بتلك الأرض وتلك التربه وذلك الهواء
معلقة بالعادات الجميلة التي صنعتها معهم
قلبك المسكوب فيه ماء المحبة الصافي ،
الذي قد ينضب فتضمؤ حتى تكاد تموت ،
إنه وطنك ! وطن قلبك فكيف ترحل وكيف تكف ؟

ما أقسى أن تفقد لذة العيش ، وطعم الحياة
الذي يكمن في الابتسامه ، في الكلمة في الالم
ما أقسى أن يعيش جسدك وتموت روحك ،
لنبح الحديث أكثر ،
هي لا تموت ، إن قوانا تخور ،
ونشعر أن ارواحنا تُزهق بهدووووء تام ،
فلا يتملك عقلك إندفاع،
ولا قلبك إشتياق ،
ولا فؤادك هيام،
أنت تقضي أيامك لا تجادل ولا تخاصم ولا تبكي ولا تبستم
تعيش لمجرد أن تأكل ،
لا لمجرد أن تحيا ،
تُستنزف قواك جُلها عن من كنت تظنه أهلا لك ،
الذي قد ضحيت من أجله
بوقتك بتفكيرك وبإحساسك
بل وروحك أيضًا ،
فتهلك ، وتشعر أن هناك حاجزا بينك وبين العالم ،
انت بداخلك تنصهر ، قهرًا مما فُعل
لأنك أخطأت ولأن الثمن الذي دفعته كان كل مشاعرك،
أنت تنصهر لأنك اخترت الشخص الخطأ ،
لا تنصهر لأنك تكرهه بل لأنك جُلدت،
بالسياط على أوتار قلبك ضُربت ،
حتى فنى تأوهك ،
وتلاشت تلك الطاقة التي كان من المفترض
،

أن تعامل بها مئة شخصا غيره ،
لكنك إخترت أن تبذل روحك لأجل ذلك الفرد ،
أكبر من جبال الهموم الراكزت أعلى صدرك
إخفاؤك عن الناس ، عن أحبتك الذين سيتأثرون بسقوط دمعتك ، أنت القوي ،
أنت المبتسم دائما ،
تختار ... أن تخسر نفسك .. وتنصهر
ولا أن تخسر من تحب وإبتسامتهم ،
كطوق على العنق ، كلما زاد شُد ،
وكلما شُد ، صبرت ،
وأنت لا تعلم كم من الوقت يلزمك لتنهي الملحمةوتعيد لقلبك الإحساس ،
وأنت تعلم جيدًا ، أن الصُهارة تبرد .. وتأخذ الكثيير من الوقت
حتى تتشكل من جديد ..
تعلم جيدًا أن العتاب لا يجدي ، كأنك الوحيد
من خلق بقلب يحس ،
تعلم أن العتاب لا يجني نفعا ولا يدفع ضررا ،
توقن بمعنى ولا تنسو الفضل بينكم ،
أنت لا تسعى للأنتقام ،لأنك لا تملك حتى طاقة
لأن تطالب بأكلك!
أنت لا تملك طاقة لرد السلام ،
كأنك خلف جبال، أمامها سحب
محيطات وبحار ، لابد ان تتجاوزها حتى تتحدث ،
تنطق بكلمة ، أن تتفوه بإسمك،
كم هو عصيب جدا ، ان تتذكر أن الآخر لم يكن مخطئ،
أنت من اعطى بلا حد ولا عد،
،

انت من إختار ذلك،
هو لا يعلم شيئا ،كالأعمى ،
لا يرى ماتفعل لأجله ،
كالأصم لا يسمع جهادك في الحديث عنه ،
كالأخرس لا يتكلم إن صمت وإن رحلت وإن قدمت،
أنت كما أتيت كما رحلت ، لا فرق ،
تَذكُر أنه لم يُسئ إليك يوما ،
أنت من أساء إلى نفسك باختياره ،
ها نحن، في تلك الحال، مكبلين بأصفاد الكتمان
وعقلنا الواعي يكاد ينطفئ كُليا فما عاد يقوى التفكير،
خلف زنزانات الوجع ،
أمام دبابات الوهن ،
بأصفاد الأخطاء ،
وبسياط الذكريات .

تحت صوت الرعد، تارةً عند المطر،
أقلبُ بين الذكريات..أبحث عني .. أجمعني
ماذا كان وماذا سيكون،
وتحت دقات المطر، واحدةً تلو أخرى،
أراني بين الأرفف .. لا تغبر أبدًا
ولا يتغير لونها،
على زجاجها ماء .. غسل المطر وهني من الذكريات..
وإستجرأتُ على قلبي فدخلت بينها..
ودعتُ وِحدتي وهي تعاتبني .. لكنني أشتاق نفسي القديمة،
كم حذرتني وحدتي .. عودي .. لن يجلب لك التذكار نفعًا،
عودي..

لطفٌ وحنو، كان في العزلة يقع،
برد لطيف، نسيم عليل، في الأحرف،
كم هي جميلة مدائنُ اللغة .

أعزائي البشر ،
لنعلم كما أن للغة قواعد وأسس ،
وللرياضيات قوانين ومعادلات،
فللقلوب مناط فكري لابد أن يحترم ،
وللعقول مناط مشاعري لابد أن يُراعى،
وللأرواح.. مناط علاقات ومنهج حياة ،
أتمنى أعزائي البشر قبل أن نمسك يدًا
او نُلبس خاتمًا ، او نذهب في رحلة
أن نعلم أن لليد حُرمات، وللقلوب آوابد قاتلة ،
قبل أن نَلبس ونُلبس خواتم الزواج لابد أن نعلم أن الأشخاص أرواح
والأرواح أمانات ،
قبل أن نذهب في رحلة لابد أن نتعلم ونعلم أن في ترحال الحياة لا إستراح،
ولا توقف ولا تراجع ،
إن بدأت عليك أن تكمل وإن لم تكمل فإنك ستخسرأحد هذانا إن لم يكن
كلاهما،
إما روحك التي ستزهق في طريق الرجوع
وإما طريقك الذي سيتلاشى وستمشي في سراب مؤبد،
نحن حين نحب نملك في داخلنا روحين ،
وحين نعقد قران نعقد قلبين
وحين نشق الطريق لرحلة
فنحن نشق طريقا أخر في القلب.

واعلم أنك حين تكتب فأنك تورث مابقلبك لحرفك ،
فالحروف تنبض كثيرًا ..
وقد يموت نبض قلوبنا.. تجاه أحد البشر،
وربمَ تجاه الحياة جُلهِا.

حتى فيمَ نحبه لكن لا نملكه لنا
يضع الناس فيه أعينهم وتجاهنا ،
نتوقف عن فعل بعض مانحب
لنظر الناس إليها بنظرة لا تَشترط الحقد أو الحسد ،
لكن مجرد النظر بعينان نجلاوتان،
وتمتمت شفاه كأنها طلاسم،
نتوقف ،
نهرب من أعين الناس،
نتمنى للحظات لو
أغلقنا أعينهم وطوينا أفكارهم عنا لبرهه،
لنسير في شؤننا ، ونكمل مسيرنا،
بعيدًا عن نظرة الغرابة التي تنتابهم وعن رجفة القلوب التي تعترينا.

أيها المطر أتغسل دمعي ؟
وحين تمر تبللني أتراكَ تواسي لوعتي؟
أتراكَ تنزل من غيمة لها في القلوب مستقر ،
أتوقك يامطر أتوق رائحتك وأحن إليك ،
كم أهوى وقع قطراتكِ ، كم أهوى الرقص معك على أغنية الطيور وحفيف الرياح ،
كم أهوى لقياك كم أهواك كم !

سعيت نحو الكثير من الأحلام ،
لربما بعضها سراب يزيد إبتعداً كلما إقتربت،
وربما أنني أتوهم،
كل ما أعلمه أنني الآن في لحظةِ إحتضار هذه الأحرف ،
أريد سلامتي من الدنيا،
أريد سلامة قلبي من البشر،
فكفوا عني كفني الله عنكم.

صباح جديد، متجدد بطاقته وأشعته المختلفه ،
لقد كذبت بشأن هذا الصباح،
قلت "أشعة" والغيوم تملأ السماء عن آخرها ،
لا أكاد أرى قرص الشمس الدائري ولا قطعة منها ،
الجو بارد هنا ، أتشعر ؟
بارد جدًا ، بدرجة أنه يعيقيني عن الكتابة ،
وايام اللقاء كنت أبيت على جمر من الشوق محرقِ،
والآن أصحو على برد من الوهن مجفلي .

توقفت عن الكتابة،
توقف قلبي عن النبض ،وقلمي عن النص ،
توقف عقلي لبرهة، كنت ميتةً في جسد حي ،
كيف لا وأنا من حلفت أنها لن تعيش الا بالقلم،
وحين كان الحياة كنت على قيده ،
جفت محابري، فأفقدتني الحياة،
يالها من آبدة، متى أنتهي من رحلة الشجن،
وأخفف أحمالاً عن كاهلي ،
آهٍ لو أستطيع إخراجك من عقلي .

وإلى متى لم أعد أقدر على إكمال النصوص؟
أكتب النص ثم أترك أخره ..
جسد بلا أرجل !
لم أسأم ففي الحياة أشياء لا تكتمل ،
لا حب ولا روح ولا شيء
لا شيء مكتمل.

كانت كثيرةً هذه الأيام ،
كثيرةً بمشاعرها ، بوجُوه المارين فيها ،
وكنت أنا الغريبة حيث كُنت،
وحيث كان المكان ..ليس كَما كَان،
لا القصائد تُوقفُ حربًا ، ولا السطور تعيد الغائبين،
نحن نكتب لنعيش..
لا أكثر.

مابين نصفٍ يتنفس وآخر يموت ،
مابين البدايةً والنهاية ،
مابين شفقٍ وغسق ،
مابين ...غربة و إغتراب ،
ما أقبح المنتصف ،
وما أسوء الإنتظار .

الكثير من الورود الجافة أعلى مكتبي ،
وفواحاتٍ إنتهى زيتها وبقيت أعوادها تحفظ ريحه،
العديد من الإوراق المبعثره
لا موقع لها من الدفاتر ،
وجُملها لا موقع لها من الإعراب ،
كطفل قطوع من شجرة،
خُطف من والديه لحظة ولادته،
هذه الوريقات التي سكبت بها شتى أنواع كلماتي وأحرفي
مزقتها بيدي ، اليد التي خطت قد مزقت آنًا واحداً.

أيامٌ كحد السيف على ناصيتي ،
أدفعها بكل ما أوتيت ،
أعود كل ليلة إلى رفيقي الليل ، وصديقتي النجوم،
أرقد وتغفو على خدي دمعه ،
إما بحرارة القهر ،
أو مرارة الحزن،
او لوعة الشوق ،
المهم، أني لا أبيت ليلة إلا مع دمعة على سطح وجنتي ..

بودي لو أبكي بشجن ،
بلا سبب أضطر إلى قوله لكل من سألني ماذا بك؟
ما أحمله روحٌ تصارع موتها بغربتها عن أحبتها،
ما أحمله وجعٌ يحاول الشفاء ،
لكن الحياة تُميته ، وتحلف له أنه لن يشفى ،
ما أحمله وهنٌ مزق صفحة أفكاري وشقها ،
وقد عشت وحيدةً بقدر ماقيل لي أنتِ صديقة عظيمة.

تصدعت السماء ،
وقُلب المساء صبحًا ،
وأنارت بلونٍ جذب لها العيون
وحين فاضت كأسها على آخرها
مَلئت الأرض ، تُفيض لها بما في سُحبها
عن عرش للرحمن تحمله، وعن ملائكة في أرجائها تسبح ،
وعن رعدٍ هز جنباتِها وبرقٍ أنار طيات سحبها ،
تصدع عقلي مع حفيف الريح
تسكنه أفكاره المليئة بالشجن ،
تملؤه الكثير من الحكوات ، والكثير من الأشواق
قلبي قد لام عقلي ففاضت عيناي
وإختلطت بريح المطر ،
فغسل وجهي عن آخره ،
حتى مابقيت قطرة مالحة على خدي،
ونامت أفكاري أحملها ولا تحملني ،
لازال المطر مستمرًا لكنني توقفت،
أنا وقلبي وعيناي ، أوقفنا المطر ،
بهدوءه ، وإختلاط صوته بحشرجت كلمي ،
كأنه يواسيني .

رجفت السماء رجفة تسبيح ،
وهز الرعد أرجاء المعمورة هزًا ،
وأمطرت بكل ما لديها بلا توقف ،
بكت السماء بكاءً شديدًا
وإرتجف قلبي وأنا أتحسس قطرات المطر ،
هز قلبي بعض الذكريات
وبكت عيناي بكاء كالمطر
رشة .. رشة ، ثم بلا توقف ،
رجف قلبي إشتياقًا ،
كيف يدفأ القلب حين يبرد؟
من يطفي نيرانه حين يشتعل؟

وقود الكتابة نفد ، ووقود الحياة فنى
أعيش على رفات ماتبقى من أمل
على قيد فتيل سينطفئ وأنا الشمعةالمحترقة
لا أعلم هل سأتجمد
لشدة الرياح تلك
اقااوم الأنطفاء بكل ما أوتيت.

رجفة الروح بعد البكاء الطويل،
وذلك النفس العليل الذي أستنشقه،
كأنني وُلدت من جديد، وسحبت هواء الغرفة كلها،
كأنني أُقدم على الدنيا من جديد،
بعدمَا أفرغت أحمالها فيّ وأسقمتني،
فبكيت كالسماء ... رويت وجنتاي فنبتت عليهما وردة،
وشربت دمعي فأجفل صدري،
وتجرعت المقاومة
واستنشقت الأمل ،
لأعود في خضم العراك من جديد.

مطر .. بللني حتى أغُرقت فيه،
هطل بقوة ولم يتوقف وكنت أسبح،
عصف الرعد وأضاء البرق وأنا أبتسم،
كان هذا المزيج الذي طهر روحي وغسلني،
فاستحلتُ خاوية الفكر، لا اسمع سوى المطر
ولا ارى سوى المطر ولا أحدث سوى المطر،
يتراقص الصغار الرائعون حولي،
وحين يهز البرق جنبات صفحة السماء
يرتاعون فيتراكضون نحو أحضان أمهاتهم،
بكل لطف وحنان يحتضنونهم وفي ذات الوقت ينهرونهم،
ما أعذب المطر وأوقاته، ما أعذب أحضان "مامتنا"
وأصواتهم حين تعلو: ستمرضون ستمرضون،
وحينها يهفو المطر، ويرق ويلين،
يستحي أن يرفع صوته فيكون أعلى من فيض الحنان،
فيرق الجو، ويستحيل إلى نسيم رقيق،
عذب فاتن يحمل ريح الطين الذي بلله المطر،
وعذب الزهور التي تمايلت مع المطر،
ثم يسكن .. يذهب إلى أحضان الأرض،
فتضمه بكل ما أوتيت من قوة،
تحبهُ فتتجرعه بهدوء ، يسري إلى دواخلها،
وتنبت به الزرع والنخيل ومن كل الثمرات،
آواااه ما أعذب الطبيعة،
حتى الأرض لا تستطيع رد المطر،
وعلى قمم الجبل، يرن الرعد ..
وتحلق الطيور ثم تحملق الأعين،

يسري إلى الوادي بكل فتنه،
وينزل حتى يستقر أسفله،
تتشبث بعض القطرات على أغصن الشجر،
حتى إذا أنهت السماء بُكائها،
وأغلقت كتابها، إخضرت البراري،
وكُسيت الجبال خضارًا مهيبًا،
تعرب فيه للسماء عن حبها وعن إمتنانها.

لَحدُ الوِداد

طيفٌ لكِ لاح ،
خلف النخلة التي إتكأت عليها ،
حين صببت لي قهوة لم أتذوق ألذ منها ،
تلك التي صنعتها يداك بحب،
حين كانت عيناك تتلألأ،
وكنت رفيقة قلبي الجميلة ،
يبرد فنجان قهوتي ويدفأ قلبي،
حين أحببتكُ بكل المقاييس،
والآن أنتظرُ قدومكِ ،
فأدفأ بعد أن بردتْ وتجمدت أطرافي .

دعكَ من الأشتياق وسأدعني من الثرثرة
دعكَ من برودي وسأدعني من سؤالك
دعكَ من هدوئي وسأدعني من تبلدك
دعكَ من سخفي وسأدعني من أعذارك
لكن...
أين أنت؟ متى ألقاك ؟
إن كنت تحبني لا تدعنِ أحن بخوف
إن كنت تودني أرجوك .. حادثني بكلمة
فدفئي في حديثك !
" كم أحبك!"

الفقد وجع ووهن وألم وإحتضار وإعتصار ،
كم أحس بك فقد حملت بعضي بين أضلعك ،
وبعضك بين أضلعي ... يفتتني ،
وكذا
لكنني لم أنسك ولم أستطع ،
لم أطويك عن بالي ولم أقدر ،
أنت مني كمني لمني ،
وشوقٌ إليك رغم المآسي فاق تحملي ،
"يا شوق رفقًا بالفؤاد ألا تعي؟!"

شرفةٌ يطل منها نسيم عليل ،
أتوكؤ عليها برفق وأتأمل نجمة لامعة ،
علك تلمع برسالة جميلةٍ منكِ ،
أستمع لصراخ الأطفال ، ذهنيَ مليئٌ بك ،
متوغل في التفكير فيك،
أشتاقك، أشتاق حديثك وبسمتك ورقتكِ ،
جفوتني كأني لم أكن ، ولم تعد تحدثني ولا تلتفت إلي ،
بردت مشاعرك بعد أن كنت تنعتني بالقلب والروح ،
توارى أم تطاير ماكنت تكنه لي ؟
لن أعاتبك ، سأعاملك كأنكَ لم تكن ،
وكأنني لا أعرفك ، وكأن قلبي لم يتمزق بعد وكأنني لم أحبك قط وكأننا ...
أسراب ..بما كُنا ،
سأسامحك على إسقاط دمعتي ، وتمزيق قلبي ،
ذلك الذي لم أبده لك ،
وأخفيته خلف إبتسامةٍ خشيةً عليك،
ليتني خشيتي على نفسي قبل أن أخشى عليك ،
كيف وكنت أنعتك بنفسي ، ومايؤذيكِ يؤذيني
أما آذاكَ ما آذاني؟

أطالبك بتبرير أم أطالب نفسي ؟
لمَ بعد كل ذا !
وحلفت لي أنك لا تدع يدي ، ثم في عمق الظلام تلاشيت،
أتظنني أتلاشى ،
كنت سأفعلها لولا أن لي قلبًا ردعني عن ذلك الحمق ،
خوفًا على قلبٍ أُودعتُ إياه ،
وأنت .. مابالكَ؟ لاتلقِ لي بالاً!

ماحدث كان فعلةَ فاعل ،
وهأنا ذا أتعلم ، ولعلي قد أوليت الأمر أكبر من حجمه،
أتعود؟ وتعود لي الحياة معك؟
أم ستبقى على جفوتك؟ وتبقى الحياة معك؟
وسأحيا حياة أخرى ، غير تلك التي وهبتك هي
وليكتب الله أجر ضيعتي بها .

آه طويلة ،
تمتد لآخر عِمري ، ولآخر سطرٍ كتبه فيك وعنك ،
تزعم أنه فترة، قد طالت وربك فحسبك .

كنتُ آتيك بكلي وجزئي وأنتظر قدومك بكل حب،
عدا الآن ،
فاضت كأسكُ على ما أظن
تلاشيتِ ..
حتى لم تودعني .

أودعتك وادي النسيان ،
تركتك ، انت وذكراك وتفاصيلك ،
تركتك وروحي ينهشها الألم ،
وجسدي هشمه قدومي بين الذكريات المنسية ،
أودعك وقلبي يجهش ويتفتت ،
وكبدي أنثني عليها خشية أن تتناثر ،
نصل النسيان شق ذاكرتي،
فنزفت أنت وتفاصيلك المهمه ،
أعتذر " التي كانت مهمه"
كيف تسنى لي وضع كان قبلك؟

كم هي هادئة أيامي بدونك،
لا أحمل همك، أين ذهبت وماذا صنعت ،
جميل التخفف من بعض البشر وإن كانوا ممن نحب،
ها أنا ، ذات أيامٍ هادئة ..
أيام هادئة،
لكن داخلي يعج بالضجيج ،
ضجيج ، صراخ ، تأوه ، بكاء ، نياح و غضب ،
الكثير من الفوضى التي أحدثها تذكرك،
فقط !
أتعلم كيف أكون حين ألقاك؟
أتبعثر أكثر ، وأنتفِضُ مِرارًا،
دعك.. لن ترى مابداخلي ، سأصمد أمامكَ .

جميلٌ ألا أنتظرك ،
جميل ألا أرى منك إلا الوجه الذي عرفته من ذي قبل ،
دعنا نعد ، عاديين ،
لا جديد ، انت لم تعد الأستثناء ،
وأنا لم أعد الروح.

صدقني كذبت على نفسي،
حين أخبرتك أنك الوحيد الذي أستعيد جواره مسراتي.

ووالله لو كنت آخر سكان الكون أجمع ،
ماعادت إليك إبتسامتي .

إعتدت أن أقلق عليك دائمًا ..
وها أنا أُعاني غُصة القلق على نفسي منك.

شجت الجراح ولكن مافاضت الدماء ،
جفت ينابيع الإشتياق،
إنضب الحنين، وتلاشى الوجع ،
وَبقيتْ ندبة ، تُخبر المارين أني قد تألمت هنا ،
لكنني عُدت أقوى.

أستطيع نسيان الأشياء وتجاهلها،
إلا خيالك الذي يسري إلي كل يوم،
إلا تفاصيل وجهك التي لا تنفك عني.

صدقني حين أهجرك لن أعذبك ،
ولن أذيقك مرارة الأيام ولوعة الإشتياق،
لست ممن يعامل بالمثل إنني أعاملك كما أحب أن أُعامل،
صدقني لن أرحل عنك واقطع كل السبل وكأنني لص هارب ،
صدقني يا عزيزي لن أتجاهلك كأنك طفل صغير وأنسى أيام ودي معك ،
صدقني سأعود لك بمبرر يخبرك عن سبب تركِ إياك،
صدقني سأخذ بيدك إلى بر آمن جدًا أطمئن أن رحلتي قد إنتهت بسلام كما بدأت وأنك ستبدأ من جديد،
وصدقني مرة أخرى صدق أو لا تصدق
أنني كما حلفت لك أنني لن أتركك فأنا لن أتركك ،
سأدفك وأطمئن على صحتك ثم أعيدك إلى حيث بدأنا،
وهنا أقول لك شكرًا على جمال أيامنا،
هنا إنتهينا يا عزيزي،
سأخبرك مرارًا أنني قد أحببتك بصدق
وبذلت لك الغالي والنفيس وسكبت لك روحي ،
لكنك كنت ساذجًا لا يستحق أو مغفلاً يعتقد أني أُستغل،
ثم أقبل جبينك كطفلي الصغير وأرحل ،
لن تتألم كألمي ، كوداعي ، كتذكري وكحنيني
لكن على الأقل فعلت مابوسعي وتركتك،
لستُ أفعل كما فعلت الآن، تتركني
حيرانةً تائهه،
يؤسفني القول أنني قد إعتدت،
فما هي المرة الأولى ولا الأخيرة،
فلم يعد يعصف بي غيابك ،
اقفرت أرضك التي سقيناها بالحب يومًا ،

صدأ باب منزلك القابع في قلبي والذي كنت تسكنه،
أوصدته جيدًا، وأغلقت بابه على الذكريات المتراكمة المترامية،و
رحلتُ وبعضها يتشبث بي رُغما عن أنفي،
أنت لص هارب كنت أحبه ،
والآن بت أهيل عليه رماد قلبي،
والكثير الكثير من فتات الذكريات حتى أنساه.

ماذا بعد أن فات الآوان،
شعرت أنك لا تستحق مَا بُذل لأجلك،
لحظة واحدة وقفت صامتةً أمامك،
لحظة الجمود أمام عيناك أعادت خريطة الحياة أمامي،
وأهالت الذكريات سيلاً في مخيلتي.

وانتَ ها أنت .. لا تعود،
وبين طيات القلوب..
بعض الدروب،
ها أنا.. وتلك أنا .. وهذه أنا ..
وهذا أنت..
ماذا صنعت؟

تعال وهبني يداك،
سأهبك الدفء، سأربط على كتفك،
سأضمد جراحك،
لطالما تمنيت أن أعود وتعود،
تمنيت ان يهبني ماوهبتك،
لكنني اليوم سأصنعه، بكل حبٍ سأعطيك،
في يدي ماء وفي آخرى هجران،
فلا تدعنا نجرب الثانية،
إنها مُرّةٌ مؤلمه..

كيف السبيل.. إلى النسيان؟
إلى الرحيل ؟
الناس تأتي ونحن نعود،
لأنه قد آلمنا القدوم.. فكيف آلام الرحيل؟
فكيف السبيل، إن كانت كل السبل تؤدي إلى هناك؟
وكل الطرق تقودنا هُناك؟

تعالي أضمك.. من جديد،
أراكِ فأمسح عن قلبي الكثير،
تعالي.. تحت زخات المطر،
وعند دقات المطر، وامام ضوء القمر،
هيا ياصغيرتي تعالي أحتضنك من جديد،
لا تبرحي فكم أحبك، وكم أحب إبتسامتك،
صغيرتي تعالي .. تعالي ونامي على قدماي،
إهدئي وإستكيني..تعالي، نراقب القمر،
فأقول أنه يشبهك بل يشبهها..
صغيرتي... رش الغمام طريقكم..
أيحبكم حتى المطر؟

أخبري ماما يا صغيرتي ..
عمّ قد تتحدث به الأعين،
حدثيها عمَ قد يخالجنا بهدوء،
أأحدثها عن عذب نظرك؟
أم عن حديث عينك؟
أم تحدثينها عمَّ سمعتهِ حين رنوتِ إلي برفق؟
أحدثك قلبي وأخبرك..؟
عنكِ وعني وعمَّ بَدَر؟

نصٌ هُنا.. نصرٌ هُناك،
حرفٌ هُنا.. حربٌ هناك،
سطرٌ هُنا.. مطرٌ هناك،
تمل منا الحياة، ونملها أحيانًا.

نظرتَ إلي .. كأنكَ تراني أول مره..
حدقت في وجهي ثوانٍ، الآن صرت تراني؟
كنتَ ترمقني بسرعة، وكنت أعتقد أنك تخجل،
أما الآن... وتسألني مابي!؟
أفقت من غفلتك حين تبدلت؟
حين لم يعد يجدي الحديث نفعًا؟
حين لم تعد تكفيك بعض النظرات؟
حين تبدل الوداد وتغير الحال؟
الآن أفقت؟

، ماعدت أشتاقك ، لا أنت ولا حديثك ولا لقائك

،ماعدت أهواك، خلت الديار وخلى الفؤاد

،ماعدت أحاكيك، كرهت كلمك وأيست حديثك

، ماعدت أحبك ، حال بيننا البين ففرقنا
فمتى يا بين تنقضي؟

وإن كان في الزمان بقية .. فقل بربك متى نلتقي؟

وبي إليك حنين..
تفيض البحار ومايفض.

خاتمة

خلقت العلاقات للراحة لا لكثرة اللوم والعتاب ،
نصوصٌ هاهنا كعادتي لا أعرف أي السبل الموصلة إلى قلبي
وقلب من يقرأ ولا أعرف الطرق
والأزقة الخاصة بالقلوب ولا أملك مفاتيحها،
نشرت نصوصي الصغيرة لتربيها الحياة ،
وتعلمها أداب الهجر ،
وأسس العتاب،وألم الحنين،
لنتحرى القول
ولأقل : النصوص هي التي تربينا واللغة تروينا
وتجعلنا نتفيأ من ظلالاها وترعى مشاعرنا
وأفئدتنا المحترقة وعقولنا المنهكه ،
ترعانا حتى نُهديها نصوصًا تائهه
تعلم أنها ستهتدي سُبلها وتَهديها.

نُقْطَةٌ عَلى
سَطْرِ الأَشْواقْ
فِداء محمد الكومي